باب المقالات

﴿ التربية القويمة ، والسياسة الحكيمة ﴾ (*)

— الثقة والظنة —

اظهار الثقة بالانسان مجلبة لما تحصل به الثقة ، وابتغاء الظنة فيه مدعاة لما تتحقق به الظنة ، فالمعاملة بالثقة اصل الصلاح والاصلاح ، والمعاملة بالظنة اصل الفساد والافساد.

رب ولدك مراعيا هذين الاصلين تحل بينه و بين الرذائل ، بما تطبعه في نفسه من ملكات الفضائل ، لاتذكر له الرذيلة ولا تنهه عنها ولم يأتها لانه لاينهى عن الشيء الا من جعل عرضة لاتيانه ، لاتتهمه بفعل شيء ولا تجعله في موضع المراقبة ليتقي السوء ، بل اشغله بالصالحات عن السيئات ، وحل بينه و بين اسبابها وطرقها حتى لاتخطر بباله ان استطعت ، فان علمت انه سمع بشيء منها او رآه فاذكر له مضار ذلك الشيء ومهانة أهله وسوء احدوثتهم وما ينتظر من العاقبة السوءى لهم ، اذكر له ذلك من باب بيان الواقع ، واظهار الحقائق ، مؤيدا بالدلائل والشواهد ، واجعل نفسك واياه من طبقة شريفة عالية لايليق بشرفها أن تعاشر اولئك المسيئين ولاأن تجعلهم موضوع أحاديثها الا قليلا تقصد به العبرة بأحوال البشر والشفقة عليهم من ظلم الظالمين منهم الذين يكونون بفساد تربيتهم قدوة سيئة لفاقدي العلم وفاسدي التربية

اذا علمت ان ولدك يعرف ولدا أو رجلا غير مؤدب وانه عرضة لمحادثته ومعاشرته فلا تنهه عن ذلك نهيا صريحا يشعره بانك تمنعه منه بسيطرتك عليه ، بل أشعره بأنك تعلم انه يحتقره في نفسه ولا يرضى لها ان تتخذه صاحبا ولاعشيرا وابن على هذا نصحه بان لايظهر له الاهانة والاحتقار في وجهه ويكتفي من ذلك بالاعراض

(*) نشرنا هذه المقالة والتي تليها بجريدة الحضارة

عنه كما امر الله تعالى بقوله «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» واذا تعرض ذلك الذي لا أدب له و بدأه بالحديث فليكن جوابه جواب مسالمة وتخلص يفهم مخاطبه منه مع الادب انه لا يحب مجاراته والاسترسال في الحديث معه، كما وصف الله الكملة من عباده بقوله « واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما» أي قالوا قولا يسلمون به من الاثم ، ولا يقارعون الجهل » ولا ينجي من شر الشرير مثل البعد عنه وترك الاساءة والاحسان اليه »

ان نفس الولد تشبه الصحيفة البيضاء النقية وان سمعه و بصره هما القلمان اللذان يكتبان فيها انواع العلوم ويرسمان فيها صور الاخلاق والآداب ، فينبغي ان لا يسمع الا حسنا ولا يرى الا حسنا، يتحتم هذا في طور التقليد الذي يسلّم فيه بكل ما يروى ويحاكي كل ما يرى ، وكلما قويت فيه ملكة التمييز بنفسه بين الحق والباطل والحسن والقبيح يذكر له بالتدريج كل ما هو معرض له من سيئات العالم وشروره بالاساليب التي تنفره من الباطل والشر وترغبه في الحق والخير

ألم تر الى علماء التربية كيف يتحامون في كتب التعلم ذكر ألفاظ الجرائم والشرور والفحش والرفث لكيلا تشتغل نفوس النشء بها قبل ان تقوى بالحق والفضيلة وحب الخير

دخل في الاسلام بيت من بيوت الامريكيين : رجل وامرأته واولادهما ومنهم ابنة معصر ذكية الفؤاد وكانوا في مصر فرغبوا الى بعض معارفهم من المصريين ان يدلهم على عالم من علماء الاسلام يأخذون عنه ما يحتاجون اليه من احكام الاسلام ، فدلهم صاحبهم على الاستاذ الامام (رحمه الله تعالى) لانهم كانوا يعرفون اللغة الفرنسية ولا يعرفون من العربية الا قليلا والاستاذ كان يحسن هذه اللغة » ولان الاستاذ هو الرجل العارف الكامل الذي يرجى ان يمثل الاسلام الاعلى لامثال هؤلاء الافرنج الذين تربوا تربية عالية واخذوا حظا عظيما من العلوم، فكانوا يلقونه و يسألونه ويسرون بما يجيبهم و يتلقونه بالاذعان

كانوا يتذاكرون يوما فجري لفظ اليأس على لسان الاستاذ فقالت له تلك البنت الشابة منهم أتأذن لي ياسيدي أن أسألك عن امر اشتبه علي في قولك ؟

قال نعم قالت كيف يذكر مثلك لفظ اليأس وانت تعلم ان الالفاظ التي لها مدلولات ضارة اذا ألقيت واستعملت فلا بد ان تؤثر في نفوس السامعين تأثيرا ما ، أليس هذا صحيحا ؟ قال بلى ، وانني قلت مرة كلمة في تصوير تأثير الكلام ، قلت انني اذا ألقيت الكلمة وانا وحيد بيتي في حندس الظلام فلا بد أن تبقى تلك الكلمة معلقة في الهواء حتى تصادف نفسا مستعدة فتؤثر فيها ، قالت الفتاة أتأذن لي أن أفسر قولك هذا بما فهمته ؟ قال نعم ، قالت ان الانسان يكون علمه بالشيء قبل ان يتكلم به اجماليا مبهما فاذا تكلم به انتقل الى حيز التفصيل والتجلي ويستدعي ذلك إعادته وسماع الناس له فيؤثر في نفوسهم ـ او ماهذا معناه ـ قال احسنت . وغرضنا من ذكر هذه الواقعة ان أرباب التربية العالية يتحامون ذكر الالفاظ التي تذكر بالمعاني الضارة الا عند الضرورة

* * *

ألا وان حب الخير وإيثاره من مقتضى الفطرة وهو الغالب على الناس ولولا ذلك لفسدت الارض وانما يقع الشر في الغالب لعدم تربية فاعله على التمييز الصحيح بينه و بين الخير له في عاجله وآجله ، فهو عرض يعرض من الجهل وسوء التربية

من آيات هذا انك ترى الطفل من ابتداء عهده بالتمييز يسر اذا وصفته بالخير ويزداد رغبة فيه ويتقبض اذا وصفته بضده وربما بكى واكتئب وهذا أعون صفات الفطرة السليمة على التربية القويمة

اذا رأيت من وليدك أمارة الكسل وأردت أن تنشطه على العمل فصفه بالنشاط واظهر له انك تثق به وترى أنه أهل للقيام بالعمل الذي توجهه اليه ، واذا أتى شيئا منه فاحمده عليه ، فبذلك يتجدد له من الهمة والنشاط مالم يكن له من قبل ، صفه بالجرأة والشجاعة يكن جريئا شجاعا ، صفه بالصدق والامانة يكن صادقا امينا ، اجعله محلا لثقتك في حب العلم والعمل نجده أهلا لها ،

لا تتهمه برذيلة من الرذائل فانك بذلك تسهل عليه ارتكابها فان اللوم اغراء ، ومن يهن يسهل عليه الهوان ، فالمرء يشق عليه بمقتضى الفطرة ان يعرف بالباطل

و يوصف بالشر ولو بحق ولذلك يخفي عيبه واخفاؤه اياه يكون عونا للمربي على تغييره منه وحمله على تركه ، فاذا فضح امره هان عليه التهتك والمجاهرة بالمنكر بل وربما يتهم المرء ببعض المنكرات اتهاما باطلا فيحمله ذلك على اتيانها ، وقد يعزى اليه مالم يفعل من المعروف والخير فيحمل نفسه على تحقيق الظن به ، كما روي عن بعض السلف انه سمع بعض الناس يقول ان هذا الرجل يقوم الليل كله ، فعز عليه ان يوصف بما ليس فيه ويكذب من احسن الظن به فصار يقوم الليل كله وكان قبل ذلك لا يقوم الا بعضه . ومن امثال العامة في بلادنا « من ائتمنك لا تخنه وان كنت خوانا »

ثم ان هذه الطريقة لا تطرد في الكبار كما تطرد في الولدان ، ولكنها تفيد في سياسة الرجال ، كما تفيد في تربية الاطفال ، بل تفيد في سياسة الامم والشعوب فانك اذا أردت ان تحث قوما على عمل من الاعمال النافعة فلا ينبغي ان تصفهم بالبعد عنه والكراهة له والجهل بمنافعه وفوائده وضعف الهمة عن القيام به وشح النفوس وبخلها ان تجود بالمال في سبيله ، انك ان تصفهم بذلك تزدهم اعراضا وضعفا وخمولا ، واذا انت وصفتهم بالمروءة والنجدة وعلو الهمة وسخاء النفس وبسط الكف ترى نصحك مسموعا وارشادك مقبولا

كانت السياسة الحميدية في دولتنا شر سياسة أخرجت للناس لانها بنيت على أساس الظنة والريبة في الامة ولا سيما في المتعلمين من افرادها وقد ورد في الحديث الشريف « اذا ابتغى الامير الريبة في الناس أفسدهم » (رواه ابو داود) وكذلك فعل عبد الحميد أفسد أمته عليه حتى صار أكثر المقربين منه والمتمتعين بالسلطة والثروة في ظله يتمنون زواله ، فما بالك بمن كان يطاردهم و يضيق عليهم مسالك الحياة ، ولا تذكر من نفاهم من الارض ، او زجهم في غيابة السجن ،

انه اتهم جماهير المتعلمين بعدم الاخلاص له وتمني زواله فصاروا كذلك ، ولماذا يكون الناس غير مخلصين لملكهم وأميرهم ولحكومتهم ودولتهم ؟ ان الاخلاص هو الاصل ولا يتحول الناس عن الاصل الا لسبب موجب يعرض لهم ، افلم يكن من العقل والحكمة ان يبحث ذلك الجبار عن سبب ما كان يتهم به عقلاء الامة والعارفين

بمصالحها من كراهتهم اياه وعدم اخلاصهم له ، ويستعين على ذلك ببطانته وخاصته ، ثم يزيل ذلك السبب العارض ، ويرجع بخيار أمته الى الاصل الثابت ؟ بلى ولكنه ما كان يثق بأحد ثقة تامة فيستعمله في ذلك ، فكانت قاعدة سياسته السوءى أن يبحث دائماً عن عيوب الناس ومفاسدهم و يصدق كل ما يلقى اليه في ذلك أو يأخذه بالتسليم احتياطاً ويبني عليه ما يبنيه على ما يصدقه و يوقن به ، ولا يبحث عن محاسن الاخيار وفضائل الفضلاء ليستعين بهم على اصلاح الفاسد وتقويم المائل ، بل لا يصدق ما يبلغه من ذلك ، فكان كل أحد عنده ظنيناً مريباً ، فكيف يستطيع مع ذلك ان يصلح عملاً ، او يتحي زللا ؟

استعمل في ذلك الالوف من عمال الحكومة في جميع اعمالها ومصالحها، والمئين من الجواسيس في عاصمتها وولاياتها ، وكذا في مصر وعواصم أوربا واشهر مدنها ، واشتهر امر سياسته هذه حتى بلغ افسادها من الامة ان صار ابناء الرجل و بناته الغذارى يتقربون الى السلطان بالوشاية والسعاية فيه فيصب عليه سوط العذاب ، او يسام النفي من البلاد ، ويأخذ اولاده الجعل على ذلك وهم فرحون . الى هذا الحد وصل فساد سياسة عبد الحميد في هذه الامة ولا سيما في العاصمة فهو ما افسد الناس عليه فقط بالتهمة والريبة وانما افسدهم أيضاً في انفسهم حتى قطع اقوى صلات الصلاح وأمتنها بينهم وهي صلة الاولاد بالوالدين

كان الاستاذ رحمه الله تعالى يقول ان اخوف ما أخافه من استبداد عبد الحميد وظلمه هو افساده لاخلاق العثمانيين لا لادارتهم فان اصلاح الادارة من بعده يسهل اذا كانت الاخلاق صالحة ولا يحتاج الى زمن طويل اذا كانت الاخلاق سليمة ، ومتى فسدت الاخلاق فان اصلاحها لا يسهل الا بعشرات من السنين كما جربنا في انفسنا (يعني المصريين) فان اسماعيل باشا افسد الادارة وافسد الاخلاق ، فلما وجدنا ريح الحرية واردنا ان ننهض بالاصلاح كان فساد الاخلاق هو الذي عاقنا لافساد الادارة ولولا ذلك لكانت هذه المدة التي أبيح لنا فيها ما نشاء من التربية والتعليم والكتابة والخطابة والاجتماع كافية لان نرتقي فيها ونكون أمة

وقع ما كان يتوقع ذلك الامام الحكيم فقد افسدت السياسة الحميدية السوءى

أخلاقنا حتى صار الاصلاح عسرا علينا مع الحرية على مقربة مما كان في زمن الاستبداد فان الذي كان يتصدى للاصلاح في عهد عبد الحميد كان يتهم بعدم الاخلاص له ، والذي يتصدى له الآن قد يتهم بعدم الاخلاص للدستور ولرجاله ، أو العثمانية وعناصرها ، ولا يزال كثير من الكبراء على ما تعودوا في العهد الحميدي يصدقون التهم وان كانت سعاية افك وبهتان ، ويرتابون في طالب الاصلاح وان قام على صدقه الدليل والبرهان ، وكذلك شأن الامم والشعوب في طور الضعف والجهل

* *

أخطأ كثير من المصريين باساءة الظن باخوانهم المخالفين لهم في الرأي واتهامهم بخيانة الوطن ويقع كثير من العثمانيين في مثل هذا الخطإ وضرره عظيم ، اذا لا أعتقد أن أصدق بوجود أحد يريد بأمته أو دولته سوءا ، ولكن يوجد في كل أمة أفراد قلائل تغلب عليهم الاثرة حتى انهم لا يبالون في طلب حظوظهم بالمصلحة العامة ، ويوجد أفراد قلائل يضادونهم فيغلب عليهم الايثار حتى انهم لا يبالون بمصلحتهم الخاصة اذا عارضت المصلحة العامة أو عاقتهم عنها ، واكثر الناس لا يرضون أن تمس المصلحة العامة بسوء بل يودون حفظها وان كان اكثر سعيهم لانفسهم لا لامتهم ، والذين يتصدون للقيام بالمصالح العامة بالعمل والتعليم أو الكتابة والخطابة يخطئون ويصيبون ويتفقون في الرأي ويختلفون ، ولا يجوز اتهام أحد منهم بقصد السوء لامته ، وانما ينبغي ان يتناظروا بالحجة والبرهان ، مع اعتراف كل منهم للآخر بأنه يريد الخير ويطلب الحق ، الا أن يظهر من بعض الناس ما يدل على اتباعه هواه في الانتقام من غيره كالبهتان المبين ، والتحريف الظاهر ، فذلك الذي لا يناظر ولا يراجع بل يترك الزمان حتى يفضح بهتانه ويتولى خذلانه ، مع بيان الحق في نفسه ، والتحذير من الباطل ورجسه

لقد كان عجب الناس من خطاب ابراهيم حقي باشا الذي اعرب فيه عن قاعدة السياسة في وزارته أن يتبع فيها قوله تعالى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » وشاع في العاصمة انه سيكون من فروع هذه القاعدة طلبه العفو عن المتهمين بالجرائم السياسية من العثمانيين واستعادة اللاجئين الى أوربا منهم ، ولكن لم يعجب الجمهور

طلبه اعطاء معاش القاعد لرجال عبد الحميد المنفيين في رودس لانه اسراف في الاحسان الى شر المسيئين . واعجب من ذلك الطلب تعليله اياه بأنه لم يثبت عليهم شيء وصحيا !!!

على ان سياسة دولتنا اصعب السياسة واعقدها فلا ينطبق عليها كل ماينطبق على غيرها من قواعد علم الاخلاق وعلم الاجتماع ، فنسأل الله تعالى ان يوفق رجالها ويؤيدهم بروح منه ليكونوا مصدر الحياة والخير والبركة هذا ولشعوب المكونة لامتها ، آمين

* * *

﴿ الحق للقوة والقوة بالحق ﴾

كن قويا بالحق يعرف لك حقك كل أحد: العلم قوة ، والعقل قوة ، والفضيلة قوة ، والاجتماع قوة ، والثروة قوة ، فاطلب هذه القوى بالحق تنل بها كل حق مفقود ، وتحفظ كل حق موجود

الوالدان يفضلان العالم من أولادهما على الجاهل ، والغني على الفقير ، والقوي على الضعيف ، بكرمانه بذلك بالمكالمة والمعاملة فيكون بين أخوته الذين هم دونه كأنه من طبقة غير طبقتهم ، فهل يلام غيرهما على مثل هذا التفضيل والتكريم

الاخوة أنفسهم يعتزون باخيهم القوي بالعلم أو المال أو العقل أو الاخلاق أو العصبية ويفضلونه على انفسهم وان كان أصغر منهم سنا ولا يوجد أفراد من الناس بينهم من المساواة مثل مايكون بين الاخوة ولا سيما اذا كانوا أشقاء فلا يكون غيرهم أجدر بتفضيل القوي وتكريمه ؟

الجماعات كالافراد في احترام القوة وحفظ حقوق اهلها وتكريمهم وتفضيلهم على أمثالهم سواء كان اهلها أفرادا أم جماعات ، فالعشائر في القبيلة الكبيرة ، والعناصر في الامة العظيمة ، تتفاضل فيخضع ضعيفها لقويها ويعترف له بحق التقدم عليه ، وبغير ذلك من الحقوق ومكان كل منهما من الآخر كمكان الاخ من أخيه ، فما قولك في القبائل والشعوب الاجنبية بعضها مع بعض وكل منها غريب عن الآخر يرى

مصلحته غير مصلحته وربما كانت قوته آفة عليه لا منفعة له

القوي بأي نوع من انواع القوى اكثر حقوقا من الضعيف لانه أقدر على كسب الحقوق فانما يكسب الناس مايكسبون بصفاتهم ومواهبهم التي يكونون بها أقوى استعدادا ممن عداهم

المباراة والتنازع بين الاقوياء والضعفاء من السنن الاجتماعية في البشر ، واعدل احوال القوي مع الضعيف ان يرضى بحفظ حقه الذي يكسبه بقوته من الطرق المشروعة فلا يبغي على الضعيف بغير حق مشروع ، وأفضلها أن يكون إماما له ومرشدا ، وحاميا له من اعتداء غيره وعضدا ، وشرها أن يبغي عليه ويهضم حقوقه ، وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم ،

انما كانت المباراة والمنافسة سنة من سنن الفطرة لأن الله أودع في نفس الانسان حب الكمال والسبق والتفوق فهو بذلك يزكي نفسه ويطهرها من ادران النقائص التي تشينها عند المعاشرين والاقران ، وبه يحملها على مايعد في بيئته من معالي الامور وكرائم الشيم ، وبه يوسع دائرة وجوده بالثروة والتعصب والترقية لكل ماينسب الى نفسه كالاهل والعشيرة والقوم والامة والدولة والوطن والمذهب الديني والعلمي والسياسي والصناعة ، يباري في كل ذلك من يخالفه ويناقشه ، ويلح في ذلك ويبالغ بقدر مايرى من المزاحمة والمعارضة من المخالفين ، فاذا قلت المزاحمة من الخلاف قلت الهمة وضعفت العزيمة وانحط شأن الافراد والجماعات والاقوام فمن استطاع ان يجعل جماعة او قوما بمعزل عن المباراة والمنافسة مع غيرهم فقد استطاع ان يقضي عليهم بالضعف والخمول واضاعة الحقوق الموجودة ، واكتساب المزايا والفواضل المفقودة

المباراة والمنافسة من الفضائل ، ومعارج الارتقاء للشعوب والقبائل ، ولولا مايعرض فيها من البغي ، واعتداء حدود الحق والعدل ، فلو ان الناس يتبارون في المسابقة الى الخير والفضل متحريا كل فريق منهم أن يكون اكمل من الآخر من غير بغي عليه ولا عدوان لكان ارتقاء البشر اسرع واقرب ، ولكن القوة تغري صاحبها بالطغيان ، ويجمع به في البغي والعدوان ، فالحق يكتسب بالقوة ويحفظ بالقوة وانواع القوة كثيرة كما

اشرنا الى ذلك في صدر المقالة ولبعض القوى من الغناء والفائدة في بعض المواطن مالبس للاخرى واعلى القوى واشرفها واغناها قوى النفس: العقل والعلم والاخلاق، فاذا وجدت تبعها غيرها الا الكثرة ، واذا فقدت لا يغني عنها غيرها حتى الكثرة، وان القوي ليقوي الضعيف بمباراته ومعارضته ويقضي عليه باهماله ومحاسنته، بأمور مما يقضي عليه بسحقه وابادته

الامثلة لما ذكرنا من الاصول والقواعد الاجتماعية كثيرة تراها بين يديك في سائر الاقوام وتقرأها في تاريخهم : انما نسخ الاسلام بعض الاديان وأضعف البعض الآخر في البلاد التي دخلها بعدم معارضتها وترك أهله لمنازعة أهلها . وقد حدث في الاسلام مذاهب كثيرة ما بقي منها الا ما جرى بين أهلها التعارض والتنافس ، ولولا بادرة العصبية التي بدرت من المأمون في مقاومة اللغة الفارسية لذابت وتلاشت في اللغة العربية بقوة الاسلام كما زالت اللغة القبطية من مصر . واضطهدت اليهود في أوربا قوى الكثرة والسلطة ، فلجأ هؤلاء الى قوة الرأي والحيلة ، فقلبوا سلطة الملوك وصار لهم مكانة عالية في أعظم الممالك الاوربية وأرقاها

تزاحمت الشعوب الاوربية وتنافست فارتقت وعزت وصار بعضها قريبا من بعض في القوى الكسبية كالعلوم والفنون والصناعات والاخلاق والاجتماع والاتحاد وبقي التفاوت عظيما في قوتي الكثرة والثروة ، اتفقوا على تأمين الشعوب الضعيفة بالقوة (كسويسره) من بغي القوة بالكثرة ، وتحالف المتقاربون في القوى الحربية ليأمن القوي من بغي الاقوى ، فالقاعدة التي بني عليها هذا التحالف هي ان المزاحمة والمنافسة في السبق والتفوق في كماليات الحياة تقضي بطبعها الى المناصبة والمقاومة وهذه تفضي الى البغي والعدوان ولا يحول دون البغي والعدوان الا تكافؤ قوى الاقران

علينا نحن معاشر العثمانيين ان نكون على بصيرة في حياتنا الجديدة التي نستقبلها للدستور ، ولا بصيرة للجاهل بمثل ما أشرنا اليه من سنن الاجتماع ومن لا يعتبر بأحوال الامم والشعوب في هذه السنن

نحن أمة مؤلفة من شعوب شتى لا جامعة لها كلها الا اعتقادها ان ارتباط بعضها ببعض يكون لها قوة عامة يعتز بها كل واحد منها وتكون مباراته ومنافسته

للآخر من غير بغي ولا عدوان سببا لقوة الوحدة العامة بقوة أفرادها

يجب أن تباري عناصرنا في تقوية أنفسها بالعلم والثروة وان يعلم كل عنصر منها انه اذا بقي متخلفا عن اخوته فان أمه الدولة تفضل عليه اخوته من العناصر الاخرى في جميع أعمالها كما تفضل أم الاولاد ولدها العالم على الجاهل

ان مباراة العناصر العثمانية بعضها لبعض مع الاتفاق على البر بها وتفهم الدولة العلية والاحسان بها ورفع شأنها هو الذي يسرع ترقيهم وترقي الدولة ، فعليها ان ترغبهم في المباراة والمنافسة وتنهاهم عن البغي والاعتداء فيهما فقط ، وأن لا تحابي عنصرا منهم محاباة لا يأذن بها شرعها ودستورها

بل أقول انه ينبغي للولايات وللألوية وللأقضية ان تتباري وتتنافس في العمران ، بل ينبغي للمدن والقرى وللشركات والافراد في البلد الواحد ان تتباري في ذلك فالمباراة هي السائق القوي للارتقاء السريع مع اتقاء البغي من بعضهم على بعض

أعجبني اهتمام أهل بيروت والشام بأمر السكة الحديدية التي يقال انها ستكون بين طرابلس والعراق ومذاكرتهم في جعل طريقها من بلدهم وان كنت أرى انهم غالطون في رأيهم وحسابهم ان تلك السكة تضر بتجارتهم أو تنقصها وفي حسابهم ان ايثار بيروت والشام على طرابلس أمر ميسور . والصواب عندي ان وجود هذه السكة يزيد جميع البلاد السورية والعراقية عمرانا فتنمو الثروة فيها كلها ومنها بيروت والشام ولكن الزيادة النسبية في طرابلس تكون اكثر منها في بيروت وذلك لا يضر بيروت بل يفيدها ولا سيما اذا اتصلت بطرابلس بخط عريض وذلك من أيسر الامور .

وجملة القول ان هذا العصر هو عصر المباراة والمنافسة من سبق فيه ساد وعلا ومن تخلف فيه خاب وخسر ، واهتبل واحتقر ، فعلى العقلاء من كل عنصر وفي كل ولاية وكل بلد أن يحثوا قومهم على ذلك وان تكون وجهتهم في ترقية الامة والدولة بترقية أنفسهم ليكونوا بعلومهم ومعارفهم وثروتهم واجتماعهم حصنها المحصين ، وركنها الركين